دار القاسم

فضل الصحابة

١

أبو بكر الصديق

رضي الله عنه

عبد الملك القاسم

المملكة العربية السعودية - ص . ب ٦٣٧٣ - الرياض ١١٤٤٢

هاتف/ ٤٧٧٥٣١١ - فاكس/ ٤٧٧٤٤٣٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي فضل من شاء من عباده، ورفع في الجنة منازل أحبابه، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، **وبعد**:

فإن قراءة سيرة الصحابة والاقتداء بهم، نهجٌ غفل عنه البعض وطواه النسيان عند آخرين. ومعرفة سيرتهم وفضائلهم سببٌ لمحبتهم وتقرب إلى الله بذلك، وقد قال الرسول ﷺ: «**المرء مع من أحب**» [رواه مسلم]. ويتأكد الفضل والخير في الخلفاء الأربعة لسابقتهم في الإسلام وبلائهم وجهادهم، عن مسروق أنه قال: حُبُّ أبي بكر وعمر ومعرفة فضلهما من السنة، وقيل للحسن: حب أبي بكر وعمر من السنة؟ قال: لا، بل فريضة.

وقد ذكر **ابن الجوزي**: أن السلف كانوا يُعلِّمون أولادهم حب أبي بكر وعمر كما يعلمونهم السور من القرآن. وعلى هذا يتأكد بيان علم الصحابة ودينهم وفضائلهم.

قال شيخ الإسلام **ابن تيمية**: وأما الخلفاء الراشدون والصحابة فكل خير فيه المسلمون إلى يوم القيامة من الإيمان، والإسلام، والقرآن، والعلم، والمعارف، والعبادات، ودخول الجنة، والنجاة من النار، وانتصارهم على الكفار، وعلو كلمة الله، فإنما هو ببركة ما فعله الصحابة الذين بلَّغوا الدين وجاهدوا في سبيل الله. وكل مؤمن آمن بالله، فللصحابة - رضي الله عنهم - الفضل إلى يوم

القيامة، وخير الصحابة تبع لخير الخلفاء الراشدين، فهم كانوا أقوم بكل خير في الدنيا والدين من سائر الصحابة، كانوا الله أفضل هذه الأمة، وأبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم.

وقد أثنى الله عليهم ورسوله ورضي عنهم وأعد لهم الحسنى في آيات كثيرة كقوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ وقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**خير القرون: القرن الذي جئت فيه، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**» [رواه مسلم]. ومن أفضل الصحابة وأجلِّهم وأكثرهم نفعاً للأمة، الخلفاء الراشدون: أبوبكر، وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم أجمعين.

وسنتحدث بإيجاز سريع عن الخليفة الأول:

أبو بكر الصديق رضي الله عنه:

هو عبدالله بن عثمان بن عامر بن كعب، ويجتمع

مع النبي ﷺ في مرة بن كعب، وكنيته أبوبكر، وعثمان هو اسم أبي قحافة، ولد أبوبكر بعد عام الفيل بسنتين وستة أشهر. وكان تاجراً جمع الأموال العظيمة التي نفع الله بها الإسلام حين أنفقها، وهو أول من أسلم من الرجال. وقد وصفه الرسول ﷺ بالصديق، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «**صعد رسول الله ﷺ أُحداً ومعه أبوبكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال: اثبتْ أحداً، فإنما عليك نبي وصدِّيق وشهيدان**» [رواه مسلم].

وأبوبكر رضي الله عنه أول من دعا إلى الله من الصحابة فأسلم على يديه أكابر الصحابة، ومنهم: عثمان بن عفان، وطلحة، والزبير، وعبدالرحمن بن عوف، وأبوعبيدة، رضي الله عنهم أجمعين.

وقد قال عنه الرسول ﷺ: «**إن من أمنِّ الناس عليَّ في صحبته وذات يده أبوبكر**» [رواه الترمذي]. وكان رسول الله ﷺ يقضي في مال أبي بكر كما يقضي في مال نفسه. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر**» [رواه أحمد]. فبكى أبوبكر وقال: وهل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله. وإنفاق أبي بكر هذا كان لإقامة الدين والقيام بالدعوة فقد أعتق بلالاً وعامر بن فهيرة وغيرهما كثير.

وفي الترمذي وسنن أبي داود عن عمر رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق، فوافق

ذلك في مالاً، فقال النبي ﷺ: «ما أبقيت لأهلك»؟ فقلت: مثله، وأتى أبوبكر بكل ما عنده، فقال: «يا أبا بكر، ما أبقيت لأهلك»؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسابقه إلى شيء أبداً»

وكانت أحب نساء الرسول ﷺ إليه عائشة ابنة الصديق رضي الله عنهما.

ولأبي بكر ذِروة سنام الصحبة، وأعلاها مرتبة، فإنه صحب الرسول ﷺ من حين بعثه الله إلى أن مات، فقد صحبه في أشد أوقات الصحبة، ولم يسبقه أحد فيها، فقد هاجر معه واختبأ معه في الغار، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ والصديق رضي الله عنه أتقى الأمة بدلالة الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾.

وقد ذكر غير واحد من أهل العلم أنها نزلت في أبي بكر.

ولأبي بكر من الفضائل والخصائص التي ميزه الله بها عن غيره كثير، منها: أنه أزهد الصحابة، وأشجع الناس بعد رسول الله ﷺ، وأنه أحب الخلق إلى رسول الله ﷺ، ولم يَسُؤْهُ قط، وهو أفضل الأمة بعد النبي عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وهو أول

من يدخل الجنة، كما روى أبوداود في سننه أن النبي ﷺ قال لأبي بكر: «أما إنك يا أبابكر أول من يدخل الجنة من أمتي» [رواه الحاكم]. وهو أحق الناس بالخلافة بعد رسول الله ﷺ.. وتأمل في خصال اجتمعت فيه في يوم واحد: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «من أصبح منكم اليوم صائماً؟ فقال: أبوبكر: أنا، قال: فمن تبع منكم اليوم جنازة؟ فقال أبوبكر: أنا، قال: هل فيكم من عاد مريضاً؟ قال أبوبكر: أنا. قال: هل فيكم من تصدق بصدقة؟ فقال أبوبكر: أنا. قال: ما اجتمعن في امرىء إلا دخل الجنة» [رواه مسلم].

وكما كتب الله لأبي بكر رضي الله أن يكون مع الرسول ثاني اثنين في الإسلام، فقد كتب له أن يكون ثاني اثنين في غار ثور، وأن يكون ثاني اثنين في العريش الذي نُصب للرسول ﷺ في يوم بدر.

ولعلم الصحابة بمكانه وقربه من الرسول وفضله وسابقة إسلامه، فقد بايعوه بعد وفاة الرسول ﷺ بالخلافة، وقد كان أمر وفاة الرسول ﷺ ذا حزن وفزع وصدمة عنيفة، وقف لها أبوبكر ليعلن للناس في إيمان عميق قائلاً: أيها الناس، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ثم تلا على الناس قول الله عز وجل لرسوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾.

وتمت البيعة بإجماع من المهاجرين والأنصار.

وقد كانت سياسته العامة والخاصة خير للإسلام

والمسلمين والناس كافة، أوجزها في كلمة قالها خطيباً في مسجد رسول الله ﷺ بعد أخذ البيعة قال: «أيها الناس، إني قد وُلِّيت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوِّموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ الحق له إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيتُ الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم».

وهي خطبة شاملة جامعة أتبعها بالعمل لخدمة هذا الدين ونشره، فأنفذ جيش أسامة بن زيد، وبلغ من تكريم أبي بكر لهذا الجيش الذي جهزه الرسول ﷺ أن سار في توديعه ماشياً على قدميه، وأسامة راكب، وقد أوصى الجيش بوصية عظيمة فيها تعاليم الإسلام ومبادئه السمحة.

ثم قام أبوبكر بعمل عظيم لا ينهض له إلا الرجال الموفَّقون، فقد وقف للردة التي وقعت بعد وفاة الرسول ﷺ موقفاً لا هوادة فيه ولا ليونة، وقال كلمته المشهورة: «والله لأقاتلن من فرَّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله لقاتلتهم على منعها». ولما يسر الله عز وجل القضاء على المرتدين انطلقت عينا أبي بكر خارج الجزيرة العربية؛ رغبة

في نشر هذا الدين وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، فوجَّه الجيوش إلى الجهاد في أرض فارس والروم، وجعل على قائد جبهة الفرس خالد بن الوليد رضي الله عنه، وعلى قائد جبهة الروم أبوعبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه. وكانت أولى المواقع العظيمة موقعة اليرموك التي فتح الله فيها للمسلمين أرض الروم وما وراءها.

ومن أجلِّ أعمال أبي بكر رضي الله عنه جمع القرآن الكريم، وقد عهد بذلك إلى زيد بن ثابت رضي الله عنه، فقام بالأمر حتى كتب المصحف في صحف جُمعت كلها ووضعت عند أبي بكر، حتى انتقلت من بعده إلى عمر، ثم إلى عثمان رضي الله عنهم أجمعين.

مرض أبوبكر رضي الله عنه وتوفي في جمادى الآخر سنة ١٣هـ ودفن بجوار الرسول ﷺ، وكانت مدة خلافته سنتين وثلاثة أشهر، وعَهِد للخلافة من بعده إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

اللهم ارض عن أبي بكر، واجزه الجزاء الأوفى؛ جزاء ما قدم للإسلام والمسلمين.

(حقوق الطبع والنشر محفوظة)